القسم السابع

تهيئة الاراضى فى مختلف اقاليم القطر المصرى

ان جزيرة الفيلة هى أول أرض مزروعة تحت الشلال الاول للنيل، وكأنما أريد بها أن تمثل خصب القطر المصرى ، فهى اكثر المناطق الزراعية اتقانا وهى أقلها راحة .

قلنا ان السنة الزراعية للمصريين تقسم الى ثلاثة فصول يجتمع فى كل منها ما يجتمع من أحوال السنة الزراعية مدة اثنى عشر شهرا فى البلدان الاخرى . فحرث الارض والبذر وقيام الزرع والحصاد يتكرر كل منها ثلاث مرات كل عام فى جزيرة الفيلة .

قبل الانقلاب الصيفى بشهر يبدأ بالزراعات المعروفة باسم القيظية وفى مدتها تزرع الذرة الرفيعة للمرة الاولى ، فتعجل نضجها حرارةالفصل والريات الغزيرة وتحصد بعد التتقية بثلاثة أشهر .

عندئذ يبدأ الفصل الثانى وهو موعد الزراعات المعروفة بالنبارية فتزرع فيه الذرة للمرة الثانية وتبقى هذه الزراعة الخريفية فى الارض مائة يوم .

أخيرا وفى اقتراب الانقلاب الشتوى يفتتح فصل الزراعات الشتوية ، والشعير هو الحب الاوحد الذى يزرع فيه ويكون حصاده بعد أربعة أشهر .

اضافة الى هذه المواسم الثلاثة المتتابعة يستغل سكان جزيرةالفيلة من بعض قطع الارض فى جزيرتهم خضراوات يزرعونها لسد حاجاتهم البيتية ، وعلى أرضهم أيضا أربعمائة وأربعون نخلة تقريبا ، وسكان هذه الجزيرة مائتا نفس منهم خمسون فقط يشتغلون محليا بأعمال الزراعة والآخرون نواتى على مراكب النيل لا يعودون الى الجزيرة الا فى ثلاثة أشهر الشتاء .

ليس امتداد الارض الصالحة للزراعة فى جزيرة الفيلة الا أربعين فدانا ترويها ست سواق تعمل بلا انقطاع ، لان الارض التى ظلت ترتفع منذ قرون جمة حاملة ما تودعه من طمى المياه التى تتدفق عليها قد أصبحت اليوم فوق مستوى أعلى فيضان النيل .

كل ساقية يتناوب عليها اثنا عشر أو أربعة عشر ثورا ، فجملةالثيران التى تدور بالسواقى الست ثمانون على التقريب ويوجد علاوة على ذلك فى الجزيرة مائة وخمسون رأسا من الماعز والاغنام .

الزراعات الثلاث المخصصة لها أرض جزيرة الفيلة لا تتغير منتجات كل منها الا قليلا بين السنة والاخرى فالذرة القيظية أو الصيفية تعطى

أردبين بالفدان ، والذرة النبارية أو الخريفية تعطى أربعة أرادب ، وأخيرا الشعير الشتوى يعطى خمسة أو ستة .

من أسوان الى أدفو تزرع الارض فى ثلاثة فصول من السنةالزراعية التى ذكرناها ، الا أن هناك فرقا بين تحضير هذه الاراضى وتحضيرأراضى جزيرة الفيلة ذلك أن نفس الاطيان ليست هى التى تزرع بالتتابع .

فى منطقة أدفو واطيانها الصالحة للزراعة عشرة آلاف فدان تستغل منها ثمانون أو مائة فقط مدة القيظ وما عداها يخصص دواما لزراعة الذرة والاطيان التى تزرع فيها هى التى تقع على ضفتى النيل .

متى كانت المياه مرتفعة ارتفاعا كافيا لتتسرب فى الاقنية فشطوط هـذه الاقنيـة تزرع أيضا ذرة مدة النبارى وتشمل فى امتدادها نحـو ستمائة فدان .

أخيرا تزرع بقية الاراضى مدة الفصل الثالث اما بالبياضى عنـدما تروى طبيعيا واما بالشتوى عندما لا تركب المياه الاراضى فتروى بالدلاء، ويجب أن يلاحظ فوق ذلك أن الاصناف التى تبذر شـتاء فى الاراضى المروية طبيعيا ليست نفس الاصناف التى تبذر فى الاراضى التى تروى آليـا .

القمح والشـعير والعدس والحمص والترمس والخس والجلبان وبسلى الحقول تبذر فى الاراضى التى سبق أن غمرها الماء ، وليس ثمت الا القمح والشعير والقطن مما يروى فى الشتاء .

أكبر المزروعات التى عددناها ايرادا هو القمح ويليه الشعير والعدس والذرة ... الخ .

عندما تروى الاراضى طبيعيا فى عدة متعاقبة من السنين يمكن بذر القمح فيها ، الا أنه اذا كان الفيضان أقل ملاءمة فيناوب بين الزراعات، وتستبقى زراعات الشعير والعدس وبذار العلف للسـنوات التى يكون الفيضان أضعف .

بوجه عام تقسم زراعة البياضى فى ثلاثين فدانا الى معـدل عشرة أفدنة قمحا وعشرة شعيرا وعشرة أخرى عدسا وجلبانا وبذار أخرى صغيرة .

السهل الذى يرى اليوم فوق خرائب طيبة لا يزرع منه الا نصف مساحته ، وما ذاك لاعواز وسائل الـرى الطبيعى ، بل لان الفـلاحين لا يستطيعون الانفاق المقدم على زراعته بأكمله ، وقد تبينت أن الضفة اليسرى من هذا السهل أقل انفاقا فى زراعتها من الضفة اليمنى ، واليك بيان أشيع التقسيم للزراعات فى الفصول الثلاثة من السنة الزراعية .

من اربعة آلاف فدان ، الفان لزرع البياضى والف للقيظى وسبعمائة للنبارى ، وفى النهاية ثلثمائة للشتوى ، وعلى هذه الصورة تحضر اراضى قرى اكرنك والاقصر وهى تشمل اثنى عشر الف فدان . وفى الحالة المتروكة عليها الترع العامة التى من شأنها تسهيل الارواء مازالت الحبوب التى تحصد من سهل طيبة تمون بها أسواق قوص وقنا ومنها تصدر الى بلاد العرب بطريق القصير ، كما انها لاتزال زراعة القمح فى هذه المنطقة هى أربح الزراعات ، وبالنظر الى أن موقع الاراضى هو الذى يعين الفصل الذى تزرع فيه ، فالحقول المجاورة للنيل هى التى تخصص دواما لزراعة النبارى لان هذه لا تؤدى الا محصولا واحدا فى السنة فهى تبقى ثمانية اشهر بورا فتنبت فيها الحلفا والعاقول اللذان يتخذان مرعى للجمال والجواميس ، وهما ينموان من غير بذر فى هذه المدة ، ثم يبدأ بتنظيف الحقول من هذين النباتين حين يراد زرع الذرة . والحلفا تتأصل فى الارض فلكى يتقى عناء اقتلاعها تحرق قائمة على سوقها ، وبعد أن يستأصل العاقول بالفأس تكوم منه أكوام تحرق أيضا ويترك الرماد على الارض التى تحرث بعد ذلك حرثة ثانية .

تزرع ضواحى « قنا » فى الفصول الثلاثة من السنة الزراعية ، وهناك يبدأ بزرع الفول البياضى وهو الاكثر انتشارا بعد القمح ، والقمح يشغل نحو الثلث من الاراضى التى تستغل وكذلك فى قنا يبدأ زرع السلجم من حيث تأخذ الارض بالانحدار مع النيل .

ان أراضى هذا القسم من القطر المصرى التى يبذر فيها الشتوى لا تروى بالسواقى كما فى جزيرة الفيلة بل بالدلاء .

لما كانت اقامة الشيخ همام فى فرشوط وحكمته فى ادارته قد جعلتا اهالى هذه البلدة أيسر حالا من سائر سكان منطقتها فهم يستطيعون القيام بأكثر الزراعات نفقة والحصول على أوفر النفع من الاراضى التى يمكن ريها .

تقسم مزروعات البياضى فى مائة فدان بين النسب الآتية بالتقريب:

القمح	٤٧	فدانا
الفول	٢٠	فدانا
العدس	١٥	فدانا
الشعير	٦	فدانا
الجلبان	٩	فدانا
البرسيم	٣	فدانا
الجملة	١٠٠	

يرى من هذا الجدول أن زراعة القمح وهى عادة ذات الربح الاوفر تشغل نحو النصف من الاطيان التى تروى طبيعيا .

أما استغلال النبارى والقيظى اللذين تبلغ زراعتهما عشر زراعة البياضى فيستطاع القول ان من عشرة أفدنة ستة يغرس فيها قصب

السكر وأربعة تبذر فيها الذرة ، وهاتان الزراعتان الاخيرتان تقتضيان استخدام ثلاث سواق وثمانية ثيران ، وهذا البيان يكفى ليجلو بصورة عامة كيفية اعداد الاراضى فى هذه البلدة .

بقدر ما تزداد العناية بالريات تقل الحاجة الى الاعمال الشاقة فى زراعة الصيف ، وتنحصر عندئذ اعمال الزراعة فى الفصلين الآخرين من السنة ، وهذا على كل حال ما يجرى تحت فرشوط وفى جرجا وطهطا .

فى هـذا القسم من اقليم « جرجا » يزرع النبارى مدة الخريف الذرة والبطيخ وخضراوات اخرى .

يزرع من الشتوى مدة الشتاء بالارواء الصناعى الشـعير والقمح فى بعض الحقول .

اخيرا تشمل زراعات البياضى القمح والشعير والفـول والعدس والحمص والبرسيم والجلبان والحلبة والقرطم وذلك فى النسب الآتية مقسمة بين ثلاثة وسبعين فدانا :

القمح	٣٠	فدانا
الفول	١٥	فدانا
العدس	١٠	فدانا
البرسيم	١٠	فدانا
الشعير	٥	فدانا
الجلبان	٢٫٥	فدانا
الحلبة	٠٫٥	فدانا
الجملة	٧٣	

فى جرجا تحضر الارض هذا التحضير على التتريب سوى انزراعه البرسيم فيها تشغل من الارض مساحة اوسع ، وهـذا يتأتى من انهم يربون فى هذا الاقليم خيلا اكثر مما يربى فى سائر اقاليم الصعيد ، اذ أن معظم القرى يملكها شيوخ من العرب ، وبعض هذه القرى تبلغ مساحه اطيانه من الف الى الف ومائتى فدان ، ويوجد فيه اربعون او خمسون فارسا ، ومن جهة اخرى لما كانت زراعات النبارى تجرى بالسواقى فهى تقتضى أن يوجد عدد اكبر من الثيران لادارة تلك الآلات .

من مألوف الاهالى أن يناوبوا بين الزراعات وأن يبذروا القمح فى نفس الاراضى كل سنتين مرة ، والاراضى التى حصد منها القمح يبـذر فيها البرسيم والفول والعدس .. الخ ، فى السنة التالية .

السكر والذرة التى نزرع نبارى فى ضواحى اخميم تشغل نحـو السبع من مساحة الاراضى .

ينقطع التوسع فى زراعة قصب السكر على الضفة اليسرى من النيل فى مستوى ارتفاع جرجا تقريبا ، ولا يعاد الى هـذا التوسع فى الضفة المقـابلة الا فى اقليم العطفية وتسـتبدل بها فيما يحيط بطهطا زراعات القرطم والكتان .

هذه الزراعة الاخيرة تعد من أربح الزراعات فيما يحيط باسيوط

والاراضى التى تلائمها هى التى تبقى اطول امد تحت المياه مدة الفيضان.

نفس الاراضى الواقعة على ضفاف ترع الرى تصلح دواما لنفس الزراعات البياضية سوى أنه يظهر فيما حوالى أسيوط التى اقمت فيها اقامة طويلة مكنتنى من الحصول على معلومات مفصلة أن الاهالى يداولون بين الزراعات بحسب الترتيب الآتى :

فى السنة الاولى تبذر الارض برسيما ، والحشة الثانية منه تاكلها البهائم قائمة ، والسماد الذى تتركه يجعل الارض أصلح لزراعة القمح الذى يزرعونه فى السنة التالية .

فى السنة الثانية والثالثة تزرع هذه الارض قمحا .

فى السنة الرابعة يبذر فيها الفول والعدس .

السنتان الخامسة والسادسة يبذر فيهما القمح .

فى السنة السابعة تستأنف زراعة البرسيم وهكذا دواليك .

كذلك تبذر تقاوى الكتان فى هذه الاراضى التى قد يكون حصد منها البرسيم ثم يعقب على زراعة الكتان بالفول والعدس ثم القمح ثم يعاد الى البرسيم فالكتان .. الخ ، ويستمر على هذا بنوع من المناوبات المنظمة . والفلاحون الذين يكونون قد تعودوا هذا التجهيز للاراضى لا يبينون له سببا سوى أنه يرجع الى أقصى القدم . واليك مثلين من التجهيز فى أقليم أسيوط .

المثل الاول — يتناول استغلال ١١٤ فدانا :

القمح	٥٠ فدانا
الفول	٢٤ فدانا
العدس	٢٢ فدانا
البرسيم	١٠ فدانا
الحمص	٦ فدانا
الشعير	٢ فدانا
	١١٤ الجملة

يرى فى هذا التجهيز للاراضى أن القمح يشغل نحو نصف المساحة . وكان الزارع فى هذه الحقول يقتنى ٢٠ ثورا أو بقرة و١٢ راسا من الغنم .

المثل الثانى — ينطبق على ٥٨٢ فدانا كانت مجهزة كالآتى :

الفول	٤٠٠ فدانا
القمح	١٢٠ فدانا
العدس	٢٠ فدانا
الشعير	١٢ فدانا
الجلبان	١٠ فدانا
الكتان	١٠ فدانا
الحمص	١٠ فدانا
	٥٨٢ الجملة

كانت ظروف خاصة قد أوجبت هذا التوسع فى زراعة الفول لان محصوله كان معدا للتصدير ، وفى مصر كما فى البلدان الاخرى جميعها يرغب فى المنتجات التى يضمن تصريفها اكثر من غيرها . وبالتبعية لارتفاع الاسعار التى تكون قد بيعت بها غلة اخرى يقبل على التوسع فى زراعة صنف أو يترك التوسع فيه الى أن يكثر الطلب على صنف آخر فيعود المزارعون الى تفضيله .

لانحتاج الى القول انه لما كانت جميع الاراضى التى تروى طبيعيا صالحة صلاحا واحدا لتنبت بذارا او تنبت آخر من غير افتقار الى الاسمدة فالتجهيزات التى ذكرناها آنفا لا تصلح هنا الا باعتبار انها امثلة خاصة جدا .

تزرع أراضى الفيوم كل عام بسبب السهولة فى اروائها ، ولكنها لا تزرع الا مرة ، بخلاف الاراضى التى تستنبت فيها الذرة الخريفية .

اشيع الزراعات فيها هى القمح والفول والشعير والحلبة والكتان والاراضى التى تبذر فيها هذه الاصناف هى التى يكون النيل قدغمرها طبيعيا .

اليك بيان التجهيز المتفق عليه نفصله بحسب نسبه فى اثنين وستين فدانا :

القمح	٢٠	فدنا
الفول	٢٠	فدانا
الشعير	٥	فدانا
البرسيم	١٠	فدانا
حلبة	٤	فدانا
كتان	٣	فدانا
الجملة	٦٢	

من المألوف أيضا أن يزرع القمح فى نفس الارض سنتين متتاليتين . أما زراعات النبارى أو التى تتطلب ريات صناعية فهى الذرة والنيلة والسكر والورد ، وأولى هذه الزراعات هى اشيعها بوجه عام لان سهولة ارواء الحقول تساعد على سرعة نمو الذرة .

لا يزرع العدس الا بكميات يسيرة جدا فى الفيوم ، والقليل الذى يحصدونه منه عند ما تكون السنوات ملائمة لا يكفى للاستهلاك المحلى .

كذلك الحلبة والجلبان وباسلى الحقول تكاد لا تزرع فيها الا عرضا ويلجأ الى زراعتها فى سنوات الجفاف أو على الاراضى التى لا تروى ريا كافيا لتنتج البرسيم ، ويوجد فى هذا القسم من القطر المصرى حدائق وبساتين أكثر مما فى الاقاليم الاخرى وهى مسيجة كما ذكرنا قبلا بالتين الشوكى . وهذه الحدائق تشتمل على نخيل وتين وعنب وزيتون وثمارها تصدر .

ينتج اقليما بنى سويف والجيزة الاصناف التى تنتجها الفيوم ، ويزرع فيها ايضا القرطم والبصل والنبلة والدخان ، وهذا القسم من القطر المصرى هو من اقل اقسامه حظا من الرى . أما قصب السكر فيغرس بمقادير لا بأس بها على الضفة اليسرى من النيل فى اقليم العطفية.

تبعا لاحتياج القاهرة فى استهلاكها وتموين أسواقها يعدل بعض الشىء زرع الاراضى فى ضواحيها، فتزيد نسبة ما يزرع من الخضراوات فى بساتين مصر القديمة والجيزة وجزيرة الروضة وبولاق وكلها تروى بالسواقى . أما السمن والجبن الطازج اللذان يردان الى أسواق القاهرة فيجيئان من القرى المجاورة، وخصوصا من امبابة تجاه بولاق وهم يربون فيها من أجل ذلك قطعانا متعددة من البقر والجاموس وهذا يدعو الى الاكثار من زرع مواد العلف فى معظم أجزاء هذه القرى .

لا يكاد ترتيب الزراعة فى داخل الدلتا يختلف عن سواه . ففيه كما فى الصعيد عات شتوية واخرى صيفية .

من الاولى القمح والشعير والفول والبرسيم والكتان .

الاراضى التى كانت مزروعة قمحا أو شعيرا تزرع بوجه عام فى السنة التالية برسيما وفولا وهكذا دواليك .

يزرع من العلف فى الوجه البحرى البرسيم وحده ولا يزرع الجلبان وبسلى الحقل والنباتات الاخرى التى تأكلها المواشى فى مصر العليا .

من مائة فدان يزرع خمسون قمحا أو شعيرا والخمسون الاخرى فولا وبرسيما وكتانا .

معلوم ان مزروعات الصعيد تنقسم الى بياضة تبذر شتاء فى الاراضى المروية طبيعيا وشتوية تبذر فى الوقت نفسه وتروى بالآلات ، وليس فى الدلتا زراعة بياضية بمعنى الكلمة فان الحب المبذور عقب الفيضان يروى دائما بالآلات الى موعد الحصاد .

فى زمن السلم اذا تيسر تصدير الكتان أو الاقمشة المصنوعة منه يكون زرع هذا الصنف هو الاربح ، فاذا حالت الظروف دون تصديره استعيض عنه بزرع البرسيم ليقات به عدد كبير من المواشى .

من مائة فدان يزرعون فى العادة :

برسيما	٢٥ فدانا
قمحا	٣٠ فدانا
شعيرا	١٠ فدانا
قمحا مخلوطا بالشعير (بغيته)	٣٥ فدانا
	١٠٠ الجملة

الشعير وحده تعلف به الخيول والشعير الممزوج بالقمح يطحن دقيقا

لصنع خبز الفلاح . ومن المائة فدان الآنف ذكرها لا يزرعون فى الصيف سوى ٢٥ فدانا موزعة كالآتى :

ذرة شامية	١٣ فدانا
سمسم	٦ فدانا
قطن	٦ فدانا
الجملة	٢٥

ينثر على الاراضى المعدة لزرع الصيفى قبل البذار نوع من السماد يسمونه السباخ ، مركب كما هو معلوم من الرماد وروث البهائم الوارد من القرى ، ويستعمل أيضا فى الاراضى المعدة لزرع الكتان ، وبالجملة لكل أرض لا تكسب طميا من مياه النيل ويدعونها من أجل ذلك بالاراضى الضعيفة .

ان استغلال مائة فدان فى الدلتا على الطريقة التى وصفناها يقتضى استخدام ٣٠ ثور أو بقرة للحرث والرى والدراس و ٦ جاموسات يتغذى بألبانها الفلاحون بتحضيرات مختلفة وأربعة جمال تنقل الحاصلات ويربون قليلا من الغنم فى الحقول من حيث أن المائة الفدان لا يربى عليها الا ٥٠ رأسا .

ان ٢٥ فدانا من المائة التى تزرع زرعا صيفيا تحتاج الى ساقيتين .

أما العمال الذين تفتقر اليهم فهم : جمال وراع للجاموس وراعيان للثيران والابقار واثنان لصيانة آلات الرى وملاحظتها وأخيرا أربعة حراثين .

فى أقليم المنصورة يقل تنويع المزروعات فتزرع مائة فدان على الوجه التالى :

قمح	٣٣ فدانا
برسيم	٣٣ فدانا
كتان	١١ فدانا
الجملة	١٠٠

القطن هو الزراعة الصيفية الوحيدة فى هذا الاقليم .

بقى أن نتكلم على مزارع الارز فى أقليمى دمياط ورشيد . فالاطيان هناك وهى واقعة فى أقصى شمال القطر ثم هى أوطأ أراضيه تغل غلتين فى السنة . ولما كان الارز يبذر فى أول ابريل فيمكن اعتبار الارز زراعة صيفية . وعقب حصاده مباشرة ، ويقع بعد الفيضان ، تبذر الارض نفسها برسيما أو قمحا ويخصص أعلى الارض لزرع الشعير ، ويزرعون أيضا فى زمن الصيف مقدارا قليلا من الذرة .